

دور الوقف العلمي في التنمية الاجتماعية

- ولاية باتنة أنموذجاً -

أ / زينب بوشريف . جامعة باتنة

الملخص

يعدّ الوقف رافداً من روافد الخير والمال في المجتمع الإسلامي، وهو باب من الأبواب التي شرعها الإسلام لسدّ حاجات المجتمع والمؤسسات الاجتماعية بما يلزمها من الوسائل للاستمرار في أداء رسالتها.

وما تحتاجه الأمة اليوم لاستعادة الركب يتطلب منها إعادة القراءة في ذلك الموروث والاستفادة من تجارب الذين نجحوا في استثمار الأوقاف لأجل النهوض بالتعليم وتنمية المجتمع.

Abstract

Wakf is one the tributaries of goodness and health in the muslims community and it is one of the issues that was prescribed by Islam to meet the needs of the community and social institutions with the necessary means to continue to fulfill their mission. And what the nation needs nowadays to restore honour glory 'it is required from it to re read the heritage and to benefit from the experience of those who have succeeded in investing awqafs for education and community development.

أهمية الدراسة

نهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز دور الوقف العلمي و مدى قدرته على المساهمة في تنمية المجتمع ومحاربة الأمية التي أصبحت تشكل مؤشراً من مؤشرات التخلف، ومن ثم نبين السبل الكفيلة و الآليات التي يمكنها أن تفعل للرفي بمؤسساتنا حتى تلعب دورها المناسب الذي يجعلها تضاهي في أدوارها وقدراتها مثيلاتها في الدول المتقدمة

أهداف الدراسة

- محاولة التعرف على خصائص نظام الوقف الإسلامي.

- إبراز دور الوقف العلمي في التنمية و آليات تفعيله لمواجهة خطر الجهل والأمية.

عرض أوقاف ولاية باتنة الخاصة بالجانب العلمي مع ذكر بعض المقترحات.
إشكالية الدراسة:

ما هي الآليات والصيغ التي يمكن أن تفعل حتى يمكن للوقف العلمي أن يشارك في العملية التنموية للمجتمع؟
توطئة

نظام الوقف، نظام يقوم على فكرة الإحسان، فهو من أهم ميادين البر، وأكثر روافد الخير وأعظمها أجرا، والمتمعن في نصوص الشريعة التي تحت على هذا الباب وهو الإنفاق في سبيل الله والتي يمثل الوقف أحد المعالم فيها يجد أن هناك حكما كثيرة ومتنوعة في تشريع الوقف منها:

أ - تحقيق عبودية الله سبحانه، قال الله تعالى: " لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ " البقرة: ١٧٧

ب- إيجاد موارد مالية دائمة لتلبية حاجات المجتمع، و ذلك بما يوفره من دعم للمشروعات الإنمائية والأبحاث العلمية، فهو لا يقتصر على الفقراء و إنما يمتد نفعه إلى مجالات أخرى تخدم البشرية.

ج- ترسيخ قيم التكافل بين أفراد المجتمع، والبلوغ بهم مرتبة الإحسان، حيث يتجاوز الواقف أهواءه ويقدم ما يحبه بدافع البذل والعطاء، قال الله تعالى: "لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ" آل عمران: 92

فالوقوف باب من الأبواب التي تساعد على تنمية المجتمع وذلك عن طريق تداول المال بين الناس وتقديم المساعدة بشكل منظم وعن طريق مؤسسة تدرس مشاريعهم و تنتقي أنسب الوسائل الفعالة للقضاء على العوامل التي تحول دون النمو والتقدم الاجتماعي أو التقليل من آثارها و أضرارها.

وفي هذا السياق يهدف البحث إلى معرفة أهمية الوقف العلمي و دوره في التنمية، مع عرض لواقع الأوقاف الخاصة بهذا الجانب -العلمي- في ولاية باتنة، وبناء على ما سبق يمكن طرح الإشكالية التالية:

ما هي الآليات والصيغ التي يمكن أن تفعل حتى يمكن للوقف العلمي أن يشارك في العملية التنموية للمجتمع؟ ويمكن تناول الموضوع وفق الخطوات التالية:

مقدمة

أولاً: التعريف بمصطلحات الدراسة (الوقف العلمي، التنمية الاجتماعية).

ثانياً: دور الوقف العلمي في التنمية وآلياته.

ثالثاً: أوقاف ولاية باتنة أنموذجاً

الخاتمة و تشتمل على أهم التوصيات.

أولاً: التعريف بمصطلحات الدراسة (الوقف العلمي، التنمية الاجتماعية)

أ- تعريف الوقف

1- الوقف لغة: يتضمن معنى الإمساك¹ والمكث² و التسبيل والحبس³

وجمع الوقف، وقوف وأوقاف، واشتهر الوقف بمعنى الشيء الموقوف، من باب إطلاق المصدر على اسم المفعول فيقال هذا البيت وقف. فهو تنازل عن

¹مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار صادر، بيروت، (د، ط)، ج 3، (د، ت)، ص: 269
²أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دارا لجيل، لبنان، ط1، ج 6، 1999م، ص: 135

³ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، (د، ط)، ج 5، (د، ت)، ص: 359

المال طوعية بنية القرب من الله تعالى لينتفع به دون تملكك للشيء الموقوف. وقد شاع مصطلح الحبوس في بلاد المغرب والأندلس وهو اللفظ المأخوذ من حديث النبي (صلى الله عليه وسلم) تحببب الأصل وتسببب المنفعة⁴

2 - تعريف الوقف اصطلاحا *- الوقف في اصطلاح الفقهاء:

لا يبتعد المعنى الاصطلاحي للوقف عن المعنى اللغوي، غير أن الفقهاء اختلفوا في تعريف الوقف من حيث لزوم العقد وعدم لزومه، وكذلك بالنسبة لانتقال ملكية المال للموقوف من الواقف أو عدم انتقالها كذلك هل الوقف تعتبر فيه إرادة الواقفين أو تسقط؟

قال الشافعية والحنابلة أن الملكية تنتقل إلى ملك الله، أما الحنفية فيرون أن الملكية تبقى في ذمة الواقف وله الحق في التصرف في الوقف إلا في ثلاث حالات: إذا كان الوقف مسجدا، أو صدر حكم من القاضي بلزوم الوقف، أو إذا علق الواقف وقفه على موته، فإذا مات لا يحق لورثته التصرف في الشيء الموقوف.

أما المالكية فقالوا: الملكية لا تسقط عن الواقف لكن لا يتصرف في الموقوف، وفي الحقيقة هذه الملكية ملكية صورية ما دام الواقف لا يستطيع التصرف في الوقف، غير أن هذا الأمر يفقد الوقف الشخصية الاعتبارية.

ورغم أن المذهب السائد في الجزائر هو المذهب المالكي إلا أن القانون الجزائري أخذ بتعريف الحنابلة، فالقانون رقم 10/91 المؤرخ في 12 شوال عام 1411هـ الموافق لـ 27 أبريل 1991م المتعلق بالأوقاف، عرف الوقف في

⁴ رواه عبد الله بن عمر، البدر المنير في تخريج الاحاديث، الموسوعة الحديثية

المادة- 03 :-هو حبس العين عن التملك على وجه التأييد والتصدق بالمنفعة على الفقراء أو على وجه من وجوه البر والخير .

3- تعريف الوقف العلمي:

عرّفه "خميس العدوي" بقوله: "هو تحبیس الأصول على منفعة الجوانب العلمية و التعليمية، كوقف المكتبات، ونسخ الكتب، ونسخ المصحف الشريف وتجليده، ووقف المدارس وحلقات العلم، والمتعلق بالمعلمين والمعلمين ونفقاتهم ووقف القرايطيس والأخبار و الأقلام ونحوه مما يحتاجه العلم والتعلم"⁵

وعرّفه "عبد الرحمن معاشي" على أنه: "تحبیس مالک، مطلق التصرف، ماله المنتفع به، مع بقاء عينه، بقطع تصرف الواقف وغيره في رقبته، يصرف ريعه إلى جهة علمية؛ تقريباً إلى الله تعالى . والجهة العلمية قد تكون مدرسة، أو جمعية علمية، أو على الأئمة، والمدرسين، و الحزّابين وغيرهم بمسجد أو غيره"⁶.

وقد اقتصر التعريف الأول والثاني على ذكر أنواع من الوقف العلمي القديم، لذلك ما يمكن أن يعرف به الوقف العلمي، تعريفاً إجرائياً أنه: " تحبیس العين عن التملك وصرفها في وجه من وجوه العلم والتعلم أو ما يساعد في العملية التعليمية من عقار ومتاع وغير ذلك كوقف الوقت، النقود، الأجهزة الالكترونية، كراسي علمية، كراسي بحثية، نوادي علمية، مدارس متخصصة، إنشاء مراكز البحث والتأهيل...وكل ما يمكن أن يوقف لتطوير العلم والاهتمام بالمعلمين والمتعلمين.

⁵نقله عن الشبكة العنكبوتية، د: أحمد أنور الشلتوني، التدابير الشرعية لإعادة الوقف العلمي إلى دوره الفعال في النهضة العلمية للامة، بحث مقدم لمؤتمر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية، كلية الشريعة جامعة الشارقة، 10-5-2011م

⁶ عبد الرحمن معاشي، الاجتهاد المقاصدي في نوازل الوقف -الوقف العلمي نموذجاً -مقال من الانترنت

4- أهمية الوقف العلمي:

تتمثل أهمية الوقف العلمي في:

*- بناء المساجد و إعادة دورها العلمي باستحداث الكراسي العلمية، والدروس المسجدية.

*- المساهمة في بناء منظومة تعليمية.

*- تمويل العملية التعليمية، ببناء الهياكل، وتحفيز المؤطرين من باحثين و أساتذة.

*- الاهتمام بالطاقات العلمية والتكنولوجية التي تعمل على خدمة القضايا التنموية.

*- توفير مصدر تمويل ثابت لدعم الطلبة والجامعات والمخابر....

ب- تعريف التنمية

1- تعريف التنمية لغة

تتضمن معنى النماء، وهي الزيادة، و رفع الشيء على وجه الإصلاح⁷.

2 - تعريف التنمية اصطلاحا:

*- تعريف التنمية عند الاقتصاديين

-يذهب فرانسوا بيرو (F.Perroux) إلى أن التنمية هي التنسيق بين التغيرات الفكرية والاجتماعية للسكان تجعلهم قادرين على زيادة الناتج الحقيقي بطريقة مستمرة ودائمة؛ وذلك لأنه مهما كان النظام الاقتصادي المُطبق فإن النمو - الذي

⁷ابن منظور، لسان العرب، ج5، ص: 4552

هو ضروري للتنمية- المُتصل أو الدائم والحقيقي في هذه الاقتصاديات تعوقه عديد من السمات الفكرية والاجتماعية للسكان⁸.

ويعرف فؤاد موسى التنمية على أنها عملية بالغة الدقة، تتمثل في النهاية في الارتقاء المنظم بإنتاجية العمل من خلال تغييراتٍ هيكلية تتناول ظروف الإنتاج الاجتماعي، وإحلال تكنولوجيٍّ أرقى، واستخدام وسائل إنتاجٍ أحدث وأكثر كفاءة، مع إشباع متزايد للحاجات الفردية والاجتماعية⁹.

وهو تعريف يتضمن تعبئة الموارد الأولية وأدوات العمل اللازمة للإنتاج و توظيف الأيدي العاملة المنتجة المؤهلة وتطوير شامل للعلاقات الإنتاجية؛ بما يؤدي إلى زيادة إشباع الحاجات. وفقاً للتعاريف السابقة للتنمية عند الاقتصاديين فإنها تشمل عناصر أهمها:

✓ -الشمولية:

✓ فالتنمية هي تغير شامل ينطوي ليس فقط على الجانب الاقتصادي المادي، ولكن أيضاً على الجانب الثقافي والسياسي والاجتماعي والأخلاقي.

✓ حدوث زيادةٍ مستمرة في متوسط نصيب الفرد من الدخل الحقيقي لفترةٍ طويلة من الزمن مما يعني أن التنمية عملية طويلة الأجل، أي أنها تتصف بالاستمرارية أو الديمومة.

** - تعريف التنمية عند الاجتماعيين

يشير عبد الباسط محمد حسين إلى أن التنمية ما هي إلا عمليات التغير الاجتماعي تلحق بالبناء الاجتماعي ووظائفه بهدف إشباع الحاجات الاجتماعية

⁸ محي الدين حمداني، حدود التنمية المستدامة في الاستجابة لتحديات الحاضر والمستقبل - دراسة حالة الجزائر- رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف رابح زبيري، عام 2008-2009م جامعة الجزائر

⁹ محمد أحمد الدوري، التخلف الاقتصادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)،

1983م، ص: 53

للأفراد وتنظيم سلوكهم وتصرفاتهم، وهي تعني بدراسة مشاكلهم مع اختلافها، وبذلك فهي تتناول كافة جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية وغيرها، فتحدث فيها تغيرات جذرية شاملة عن طريق المجهودات المخططة و المعتمدة والمنظمة للأفراد والجماعات لتحقيق هدف معين¹⁰

*- ويرى "ريتشارد وارد" أنّ التنمية الاجتماعية هي منهج علمي وواقعي لدراسة وتوجيه نمو المجتمع من النواحي المختلفة مع التركيز على الجانب الإنساني منه، وذلك بهدف إحداث التكامل والترابط بين مكونات المجتمع.¹¹

**** - تعريف الأمم المتحدة للتنمية:**

عرّفت الأمم المتحدة في عام 1955م التنمية بأنها العملية المرسومة لتقدم المجتمع جميعه اجتماعيا واقتصاديا وتعتمد بقدر الإمكان على مبادرة المجتمع المحلي واشتراكه، وفي عام 1956م قدمت هيئة الأمم تعريفا يشير إلى أنّ تنمية المجتمع هي العملية التي تستهدف الربط بين الجهود الأهلية وجهود السلطات الحكومية لتحسين الظروف الاقتصادية والاجتماعية والثقافية للمجتمعات المحلية، وتكامل هذه المجتمعات في حياة الأمم والشعوب وتمكينها من الإسهام الفعال في التقدم القومي.¹²

ومما سبق يمكن أن نستخلص أنّ:

➤ مفهوم التنمية ليس ثابتا، فكل يتناوله من زوايته، وينظر إليه انطلاقا من الأيديولوجية الحاكمة لفكره.

¹⁰ عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، معهد البحوث و الدراسات العربية، المطبعة العالمية، القاهرة، (د.ط)، 1970 م، ص: 100. 90.

¹¹ هناء حافظ بدوي، التنمية الاجتماعية- رؤية واقعية من منظور الخدمة الاجتماعية-، دار المعرفة، مصر، (د.ط)، 2000م، ص: 76

¹² عبد الرحيم تمام أبو كريشة، دراسات في التنمية الاجتماعية، المكتب الاجتماعي الحديث، مصر، (د.ط)، 2003م، ص: 40

✚ التنمية عند الاقتصاديين الرأسماليين والاشتراكيين زيادة في الناتج القومي وكذلك الزيادة في دخل الفرد.

✚ والتنمية عند الاجتماعيين وسيلة ليصل الإنسان إلى تحقيق أكبر قدر من الرفاه.¹³

✚ التنمية عبارة عن إحداث تغيير مخطط وهادف للانتقال من التخلف إلى التقدم ولا بد فيها من تغييرات كمية تعقبها تغييرات كيفية.

✚ هي عملية مستمرة في المجتمعات المتقدمة و المتخلفة.

✚ تساعد على البناء وذلك باستخدام برامج وتخطيط للوصول إلى ذلك، كبناء المدارس والمستشفيات التي لا بد لها من برامج لتحقيق التنمية.

✚ وبهذا فالتنمية تشير إلى العملية التي يتمكن بها المجتمع من تحديد حاجاته وأهدافه وترتيبها حسب أولويتها ثم إذكاء الثقة والرغبة لتحقيق هذه الحاجات والأهداف، والوقوف على الموارد الداخلية والخارجية التي تتصل بهذه الحاجات والأهداف ثم القيام بعمل بشأنها، وبهذه الطريقة تمتد وتنمو روح التعاون والتضامن في المجتمع¹⁴

✚ و الأثر الحقيقي للتنمية يقاس بمقدار ظروف الحياة الناس، فالإنسان قبل كل شيء هو الهدف من التنمية، وتحسين نوعية الحياة التي يعيشها هي المقياس الحقيقي للنجاح فيها، فإذا كانت التنمية هدفها رفع معدلات النمو وحسب، حيث

¹³ إبراهيم حسن العسل، التنمية في الفكر الإسلامي، مفاهيم - عطاءات، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط1، 2006م، ص: 26

¹⁴ محمد عباس إبراهيم، التنمية والعشوائيات الحضرية - اتجاهات نظرية وبحوث تطبيقية - دار المعرفة، الإسكندرية، 2003م، ص: 111

يكون الاهتمام بالكم لا بالكيف والذي يتمثل في تحسين نوعية الحياة التي يعيشها الفرد والمجتمع، فلا تعد تنمية بذلك.¹⁵

ومما سبق يمكن تعريف التنمية على أنها العملية التي تستهدف الإنسان لأجل الاهتمام به من زوايا ثلاث، مساعدته على تحسين علاقته بربه، علاقته بنفسه، وعلاقته بغيره، وبعد هذا سيكون البحث حول دور الوقف في التعليم، باعتبار هذا الأخير مؤشر من مؤشرات التنمية.

ثانياً: دور الوقف في التنمية وآلياته

التنمية في أصلها ودون اختلاف بين العلماء والدارسين أنها تهتم بالإنسان، وللعلم أهميته البالغة في حياة الأفراد والمجتمعات والحضارات، ولأهميته أول ما نزل من القرآن كان قوله سبحانه وتعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ العلق ١ - ٥

لقد اهتم الإسلام بالعلم لأنه أساس التمدن والتنمية، كما يعد غذاء العقول ونور هداية للقلوب، ولطالب العلم منزلة لم ينلها طالب غير هذه الوجهة، حيث قال النبي (صل الله عليه وسلم): "من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له طريقاً إلى الجنة وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع وإن العالم ليستغفر له من في السموات ومن في الأرض حتى الحيتان في الماء، وفضل العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب وإن العلماء ورثة الأنبياء وأن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً وإنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر"¹⁶ ولما كانت مشاريع التنمية تدعو إلى التعلم، فإن الوقف يمكن العودة به إلى أحد مكوناته الذاتية التي يمكن أن تقدم لنا الخير، لذلك يمكن أن نتصور

¹⁵ حربي محمد عريقات، مقدمة في التنمية والتخطيط الاقتصادي، دار الكرمل للنشر والتوزيع،

الأردن، ط2، 1997م، ص: 51

¹⁶ رواه أبو داود والترمذي

استغلال عائدات الأوقاف لدعم التعليم بمختلف مستوياته و أنواعه، على النحو التالي:

أ - تخصيص جزء من عائدات الوقف:

1- دعم الجامعات¹⁷ ويكون إما بشكل منح تعطى للمتميزين من الطلبة أو لأجل البحوث المقدمة، الصرف على الملتقيات التي تنظمها الجامعة، والأيام الدراسية، والمشاريع التي تنجزها المخابر.¹⁸

¹⁷ من المشاريع المقدمة للوقف على الجامعات ، مشروع الوقف على مؤسسة للدراسات العليا الذي قدمه الدكتور سامي الصلاحات استشاري الدراسات والعلاقات المؤسسية بدبي، والبحث منشور في المغرب مجلة الجامعة 2004م، وملخصه السعي لتفعيل دور الدراسات العليا في الجامعات الإسلامية، من خلال إحياء الرسائل الجامعية " الماجستير والدكتوراه"الراكنة في الجامعات لتفعيلها.

¹⁸ السر الذي جعل الجامعات الغربية تتميز عن غيرها من الجامعات وتحتل المراتب الأولى في التصنيفات يعود إلى الوقف، وهذا ترتيب الجامعات حسب الوقف، وترتيبها عالميا.

الترتيب	المؤسسة	المبلغ بالفئة المليونية
01	جامعة هارفارد	30.435
02	جامعة بييل	19.345
03	جامعة تكساس	18.623
04	جامعة ستاتفورد	17.036
05	جامعة برنستون	16.954
06	معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا	10.150

ويمكن تصور مساهمة الجامعة في إحياء سنة الوقف وتفعيله حسب ثلاثة محاور¹⁹
المحور الأول: التكوين والتدريب

ويقسم إلى قسمين، تكوين قصير المدى وفيه يكون دور الجامعة بتقديم الخدمات حسب طلب الجهة الوصية على الوقف وهي إدارة الشؤون الدينية والأوقاف وذلك لأجل تكوين وتأهيل العاملين في مصلحة الأوقاف، ويكون تكوينهم في مدة تتراوح بين 6 - 9 - 18 شهر، أما القسم الثاني وهو التكوين طويل المدى ويكون في الجامعة حيث تعمل على تخريج إطارات تحمل شهادات عليا في الأوقاف وهذا المشروع الذي قامت به الجامعة - كلية العلوم الإسلامية بباتنة - فعلا وهو ماستر مهني في الأوقاف.

المحور الثاني: البحث العلمي

وتتمثل مساهمة البحث العلمي في إحياء الوقف من خلال آليات وهي إنشاء فرق بحث، مخابر... أو التسجيل في الدكتوراه بما يخدم البحث في مجال الأوقاف.
المحور الثالث: عقد التظاهرات العلمية

ويكون بعقد تظاهرات علمية بين القطاعات المشتركة التعليم العالي الشؤون الدينية والمالية، وذلك من خلال ورشات، أيام دراسة، ملتقيات وطنية ودولية، لينتهي بهم الأمر بتوصيات تكون بمثابة خريطة طريق.....

نصل في النهاية إلى إعادة القاطرة، وهي الجامعة الوقفية.

2 - دعم الطلبة الموهوبين والفقراء

¹⁹ صالح بوبشيش، دور الجامعة في تفعيل نظام الوقف، الملتقى الوطني الذي نظّمته الكلية الإسلامية والاجتماعية بباتنة والموسم "استغلال الأملاك الوقفية في باتنة واستثمارها: المشكلات، الآليات والحلول" يومي 6 / 7 / أبريل / 2015م

يمكن تخصيص مورد ثابت من عائدات الأوقاف للصرف على الطلبة الموهوبين والتميزين في جميع التخصصات، وكذلك الطلبة الفقراء²⁰.

ج - دعم الطلبة ذوو الاحتياجات الخاصة

يمكن تخصيص مورد ثابت يقطع من عائدات الأوقاف يكون لصالح الطلبة ذوو الاحتياجات الخاصة لتشجيعهم والاهتمام بهذه الشريحة من المجتمع.

د - الاهتمام بالكتب والمكتبات

تخصيص محفظة وقفية تساهم في دعم مؤسسات التعليم بالكتب المتخصصة التي يصعب على الطالب اقتناؤها وتوفيرها في المكتبات الجامعية.

ب- استخدام العقارات الوقفية في المجال العلمي

إنّ استغلال العقارات الوقفية لأجل رفع المستوى التعليمي يساعد في تنمية المجتمع، وذلك بتفعيل الحركة العلمية والحركة الثقافية، وإنشاء أو استخدام العقارات الوقفية يشجع ويطور الحياة العلمية ويكون هناك فضاء مشروع لطلبة العلم، من أجل رفع مستواهم التعليمي كذلك جانب التوعية الذي تقوم به تلك المؤسسات.

²⁰ ومن الدول الإسلامية الرائدة في تقديم وقف للطلبة دولة الكويت حيث قام المشروع بتقديم الدعم للطلبة المحتاجين في المدارس الخاصة لمراحل التعليم الأساسية على النحو التالي :

الرقم	السنة	مبلغ المساعدة	عدد الطلبة
1	1997م	121.335 د.ك	1922
2	1998م	129.595 د.ك	1219
3	1999م	221.334 د.ك	1803
4	2000م	291.929 د.ك	2677
5	2001م	384.532 د.ك	3612
6	2002م	435.699 د.ك	4129

وإذا كان هناك عقارات وقفية، يمكن أن تستغل خاصة في وقتنا الحالي لصالح الأساتذة الذين يقدمون دروس التقوية لمختلف فئات المجتمع، من محو الأمية إلى التمهيدي و التحضيري، إضافة إلى طلبة المدارس الابتدائية والمتوسط والثانوي، كما يمكن أن تستغل العقارات الوقفية إن وجدت لإقامة الدورات التعليمية، ويمكننا أن نتصور بعض المشاريع العلمية التي يمكن إضافتها لاستغلال هذه العقارات ولنفس الهدف التي يوقف لأجله ألا وهو الوقف لصالح العلم وهي:

1 - تخصيص عقارات وقفية لبناء دور الحضانة، نظرا لضرورة مثل هذه المراكز اليوم، فإنه يمكن تخصيص بعض من العقارات الوقفية إن وجدت وجعلها حضانة للأطفال مع متابعة نشاط الحضانة وما تقدمه من برامج لتربية هؤلاء الأطفال.

2 - تخصيص عقارات وقفية لبناء مراكز تدريب وتقديم دورات علمية لصالح الفئة التي تريد أن تكون نفسها وتطور من أدائها.

3- منح الجمعيات والأساتذة الذين جعلوا من أوقاتهم وقفا على الطلبة مقرّات لدعمهم.

4- الاهتمام بالوقف العلمي والسعي لإحيائه من خلال استغلال الإعلام بأنواعه.

ج- استخدام أوقاف مختلفة لصالح الوقف العلمي

"إن التعليم بشكل عام يحظى باهتمام الحكومات (بدرجات متفاوتة) و تخصص له الميزانيات المعتبرة، وعليه فإن تدخل الأوقاف يمكن أن يكون مسانداً لتلك الجهود أو مغطيا لمجالات تعليمية تعرف عجزاً، ثم أنني لا أحصر تدخل الأوقاف في التعليم الديني فقط²¹ وإنه بالإمكان أن يتوسع ويشمل مجالات أخرى على سبيل المثال:

²¹ فارس مسدور، تمويل واستثمار الأوقاف بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه غير منشورة، مرجع سابق، ص: 165

1 - وقف الحقائق التعليمية²²

ومن المشروعات التي يمكن أن نهتم بها هي الحقائق العلمية لما لها من فوائد في تعلم الطلبة ونبوغهم، حيث يخصص من الأوقاف ما يكون لأجل الدورات العلمية و تعليم المهارات، وجلب العلماء وتكون هذه الحقائق إما بجعل جزء من عائدات الأوقاف لها مباشرة، أو استحداثها بأن يوقف الناس مباشرة على العلم والعلماء، وهذا يمكن أن يكون عن طريق استغلال الإعلام، وتوعية الناس، وتوجيههم إلى هذا النوع من الوقف.

2 - وقف المجمعات العلمية:

مما يمكن استحداثه وتمويله من أموال الوقف، ما يسمى بالمجمعات العلمية، وهي هيئات علمية دائمة مكونة من العلماء، لدراسة العلوم الدينية النقلية، والعقلية، للوصول إلى الحق ودفع الشبهات، ومن مهام المجمع إقامة مراكز للدراسات العلمية وجامعات للبحوث المنهجية، نشر الكتب، إلقاء محاضرات، إقامة ندوات، عقد مؤتمرات....

ثالثاً: أوقاف ولاية باتنة أنموذجاً²³

لقد قام الوقف عبر التاريخ الإسلامي بدوره الفعال في نشر العلم ومساعدة المتعلمين، وكان وقف المدارس والمكتبات من السمات البارزة، وإذا كان هذا المنحى قد تقلص في العصور المتأخرة إلا أنه لم يُزل تماماً بل لا يزال موجوداً رغم قلته، وولاية باتنة كغيرها من الولايات لها حظيرة وقفية هامة في مجال التعليم،

²² عبارة عن مجموعة من الوسائل المتعددة، ذات نظام محكم يساعد المتعلمين على تحقيق مجموعة من الأهداف التربوية المطلوبة وفق قدراتهم وحاجاتهم واهتماماتهم، وتعتبر الحقائق التعليمية مختبرات علمية مصغرة متكاملة يتم بواسطتها إجراء التجارب العلمية لمادة العلوم في مدارس التربية والتي تساعد على اكتساب المتعلمين من الطلابي الخبرات والمهارات التي تساعد على الفهم والنبوغ.

²³ زينب بوشريف، دراسة ميدانية، عينة الدراسة: المسؤولون المباشرون على الوقف من مديرية الشؤون الدينية والأوقاف خلال الموسم الدراسي 2015-2016م

ابتداء بالمساجد التي تسهر على تعليم الناس دينهم من خلال الدروس والخطب وكذلك المرافق التابعة لها من كتاتيب ومدارس قرآنية ومكتبات وهذه كلها الوظيفة الأولى لها نشر العلم، وإخراج الناس من ظلمات الجهل، وفي الجدول الموالي توضيح لعدد المساجد الموجودة بالولاية:

أ- عدد المساجد في الولاية

كانت بداية الأوقاف مع المساجد التي لم يتجاوز عددها أثناء الاستقلال 70 مسجداً، موزعة عبر الولاية، واليوم تحتضن 523 مسجداً مصنفة حسب الجدول التالي:

جدول رقم 01 يبين عدد المساجد في الولاية وتصنيفها

التصنيف	قطب	تاريخي	وطني	محلي	مسجد حي
العدد	01	08	12		24

هذه المساجد هي أماكن العبادة ومن وظائفها الشرعية والقانونية أنها منارة يقبل عليها الناس لتعلم دينهم و أمور دنياهم، فقد كانت قبلة العلماء يحرسون فيها على التعلم والتعليم، ثم أصبحت لها مرافق تؤدي مهمة التعليم كما سيوضح ذلك الجدول الموالي:

ب- أنواع الأوقاف التي تساهم في الجانب التعليمي

من أنواع الوقف الذي ساهم في الجانب التعليمي قديماً وحديثاً إضافة إلى المساجد وقف المدارس و الكتاتيب والزوايا، وهذه الأنواع موجودة بمدينة باتنة كما هو مبين في الجدول رقم 02

1 - وقف المدارس والكتاتيب والزوايا

جدول رقم (02) يبين أنواع الأوقاف التي تساهم في الجانب التعليمي

النسبة المئوية	نوع الوقف	الوقف
35.71%	مدارس	نوع الوقف
35.71%	كتّاب	
14.28%	زوايا	
14.28%	أخرى	
99.98%	المجموع	

لقد عرف الوقف عبر التاريخ الإسلامي تنوع في وعائه، فلقد ساهم في الدعوة إلى الله والتعليم بصورة كبيرة حيث شيدت المساجد وجعل لها أوقاف تعود عليها لتسييرها والمحافظة عليها، كما شيدت المدارس والمكتبات ودور لطلبة العلم وغيرها من الوسائل التي تساعد الطلبة على التعلم وتوفر لهم حاجاتهم الخاصة لأجل أن يتفرغوا لتحصيل العلم ثم تبليغه بعد ذلك، وقد عرفت الجزائر في العهد العثماني هذا النوع من الوقف حيث عُدّت المدارس بالعشرات، وكان الواقفون على المدارس من جميع الطبقات، فمنهم الباشوات، البايات... وبالإضافة إلى ذلك وجدت كتاتيب تابعة لبعض الزوايا، وأمّا المكتبات فإنّ الجزائر في العهد العثماني تعدّ في طليعة البلدان كثيرة الكتب، وبعد الاحتلال الفرنسي عملت فرنسا على تصفية تلك الأوقاف ومصادرتها، وعملت كل جهدها على طمس الهوية وزعزعة الثوابت الوطنية، ومع الاستقلال عملت الدولة الجزائرية على إعادة بناء المساجد والمدارس والكتاتيب بل شجعت على ذلك، لذلك فإنّ مفردات العينة عبّرت بأعلى

نسبة والمقدرة ب 35.71 % كان الوقف على المدارس والكتّاب باعتبار هاتين المؤسستين عاملتين على التعليم وهذا حسب الجدول الموالي الذي يبين إحصاء التعليم في مدينة باتنة

والجدول رقم 03 يوضح عدد المدارس المتصلة بالمسجد والمنفصلة عنه وعدد الكتاتيب التي يزاول فيها التعليم

جدول رقم (03) يبين عدد المدارس والقرآنية والكتاتيب خلال الموسم الدراسي 2015-2016م

المدارس	العدد
المتصلة بالمسجد	13
المنفصلة عن المسجد	14
الكتاتيب	481
المجموع	508

من الجدول أعلاه يتبين أن التعليم من خلال مؤسسات المسجد سواء في المدارس أو الكتاتيب يساهم مساهمة معتبرة في نشر العلم و أكثر ما يكون في الكتاب باعتباره قسم واحد سهل الانجاز وبساطة التجهيز، ويمارس المعلم مهمته في الكتاب بطريقة بدائية يبدأ مع الأطفال بتعليم الحروف وتحفيظ كتاب الله، كما تبقى المتابعة ولو بعد دخول التلميذ إلى المدرسة، لذلك الجدول الموالي يبين أنواع العملية التعليمية التي تكون في هذه المدارس والكتاتيب:

جدول رقم (04) يبين نوعية العملية التعليمية التي تساهم فيها هذه الأوقاف

النسبة المئوية	نوع الوقف	الوقف
%26.31	محو أمية	نوع العملية التعليمية
%26.31	تمهيدي	
%26.31	تحضيري	
%15.78	دروس تقوية	
%05.26	أخرى	
%99.97	المجموع	

من مؤشرات التنمية التعليم ومحاربة الأمية، وما تقوم به المرافق التابعة للمسجد من أوقاف هو مساهمة للقضاء على الأمية، و مساعدة المدرسة النظامية في تعليم التلاميذ سواء بفتح أقسام للتمهيدي و أخرى للتحضيري وكذلك دروس التقوية التي سجلت أقل نسبة 15.78% إلا أن العملية موجودة و أغلب الدروس التي تكون في

هذا النوع مجّانية أو بسعر رمزي على أكثر تقدير، وهنا يسجل الوقف مساهمة مزدوجة حيث يكون وقف الأستاذ لوقته، وما كان من أموال يساهم به عادة في المسجد أو المدرسة، أما العمليات الأخرى التي يمكن أن تكون في المساجد والمدارس القرآنية والتي نسبتها 5.26% يرى بعض أفراد العينة أن مما يستفاد منه من المؤسسات الوقفية في جانب التعليم، التعليم الآلي، اللغات، مهارات

مختلفة كتعلم الخريطة الذهنية، استغلال الوقت.....والجدول الموالي يبيّن عدد المتدربين في المدارس والكتاتيب للموسم الدراسي 2015 - 2016م.

جدول رقم (05) يبيّن عدد المتدربين في المدارس القرآنية والكتاتيب

الموجودة بولاية باتنة خلال الموسم الدراسي 2015-2016م

الصفة	العدد	الجنس	الصف
13 .8 5 %	1340	ذكور	عدد المتدربين في
	1290	إناث	التحضيرية
	2630		المجموع
6. 70 %	00	ذكور	عدد المتدربين في محو
	1273	إناث	الأمية
	1273		المجموع
79 .4 3 %	1654	ذكور + إناث	مجموع المتدربين بالأقسام المسجدية
	13426	ذكور + إناث	مجموع المتدربين بالكتاتيب
	15080	ذكور + إناث	المجموع الكلي للمتدربين

إنّ الجدول أعلاه يبيّن المساهمة الفعالة التي تقدمها الأوقاف في مجال التعليم، فالكليات والأقسام التابعة للمساجد أو للمدارس القرآنية تحوز على أعلى نسبة في مساهمتها في التعليم بأنواعه، وتقدر تلك النسبة 79.43% ودور الكتاب دور قديم ولا يزال، وفيه يتعلم الأطفال الحروف، تحفيظ القرآن، والآداب وغيرها من العلوم، ويختلف الكتاب عن المسجد، فالمدارس القرآنية تشمل مجموعة من الأقسام ولها نظام المدارس التابعة لوزارة التربية، قد تكون المدرسة تابعة للمسجد بمعنى مفتوحة عليه وقد تكون مستقلة، تساهم المدارس القرآنية في تحضير الأبناء للدخول للمدارس بفتح أفواج للتمهيدي وهم الذين يبلغون 4 سنوات ثم تلي ذلك مرحلة التحضير، يكون الطفل قد بلغ سنّ 5 سنوات، وتمنح له شهادة تبين بأنه قد أنهى مرحلة التحضير، وهناك مشروع قيد الدراسة بين وزارة الشؤون الدينية ووزارة التربية حول موضوع التحضير.

أما محو الأمية فعدد المتدربين في هذا المجال قد بلغ نسبة 6.70%، والملاحظ أنّ الفئة المنتمية له من النساء فقط، ويعد من الأنشطة الناجحة. ومما سبق ذكره يتبيّن أن التعليم في مرافق الوقف شمل محو الأمية، التمهيدي و دروس التقوية إضافة إلى التربية والتوجيه والتوعية وهذا ما تقوم به المساجد والمدارس القرآنية من خلال خطب الجمعة، الدروس، الندوات، الأيام الدراسية، المحاضرات والأنشطة المتنوعة الموسمية و المناسباتية.

2- وقف الكتب والمكتبات:

إنّ الكتاب مصدر أساسي في نشر العلوم والمعارف، وحيثما وجدت الكتب والمكتبات تزدهر الحياة الثقافية والعلمية وتقوم الحضارات، وقد أدرك المسلمون أهمية ذلك، فاتّجهوا إلى وقف الكتب، ووقف المكتبات وتسابق أهل الخير في وقف المكتبات والكتب، وخصصت للمساجد مكتبات وقفية خاصة بها، هذه المكتبات

يكون نشاطها على قدر همة القائمين عليها، إثراء أو استعمالاً، ومن بين المكتبات الوقفية:

مكتبة صالح بن حبرو²⁴

جدول رقم 06 بين الكتب التي أوقفها ورثة صالح بن حبرو
لفائدة المدرسة القرآنية أول نوفمبر 54 باتنة

النسبة المئوية	العدد	نوع الكتب	الرقم
30.34 %	203	كتب الأدب العربي	01
13.30 %	89	كتب التاريخ	02

²⁴صالح بن حبرو: محامي توفي وعمد ورثته إلى وقف كتبه لصالح المدرسة القرآنية أول نوفمبر 54م باتنة

03	كتب القانون	61	9.11%
04	كتب الشريعة الإسلامية	40	5.97%
05	كتب الإعلام والاتصال	13	1.94%
06	كتب علم الاجتماع	11	1.64%
07	كتب الثقافة العامة	25	3.73%
08	كتب باللغة الأجنبية	49	7.32%
09	مجلات	178	26.60%
	المجموع	669	99.95%

ومن بين المشاريع التي تقوم بها المدرسة القرآنية أول نوفمبر 54 بباتنة
لإحياء سنة الوقف العلمي:

***- مشروع وقف كتب السيرة و تاريخ الجزائر**

مبادرة قامت بها المدرسة القرآنية أول نوفمبر 54م بباتنة في شهر رمضان عام 2012م، محاولة منها في إحياء سنة الوقف، حيث قامت بكتابة قصاصات عليها عناوين كتب حول السيرة النبوية و أخرى حول تاريخ الجزائر وتوزيعها على المتمدرسات لجمع عدد من الكتب وزّعت بعد ذلك كالتالي:

جدول رقم 07 يوضح مشروع وقف كتب السيرة و تاريخ الجزائر

الرقم	نوع الكتب	العدد	المستفيدون من الكتب الوقفية
01	مصحف برواية ورش	1000	*- المدرسة القرآنية *- بعض طالبات المدرسة
02	كتب في السيرة	250	
03	كتب في تاريخ الجزائر	200	*- جمعيات، مدارس أخرى

***- مشروع وقف المصاحف المترجمة**

مشروع آخر، تسعى إليه إدارة المدرسة القرآنية أول نوفمبر 54م بباتنة، وهو مشروع المصحف المترجم، تجمع من خلاله المصاحف المترجمة لتوزع بعد ذلك على الطلبة الأجانب، وقد تمّ جمع أكثر من 500 مصحف والعملية لا تزال مستمرة، و يتصور أن تكزن على الصورة التالية:

جدول رقم 08 يبين مشروع وقف المصاحف المترجمة

الخاتمة والتوصيات:

ساهم الوقف الإسلامي مساهمة فعالة في الحياة الاجتماعية، وكان له

الرقم	الفئة المستهدفة	العدد
01	مصنف لكل طالب - حي الطلبة الأجانب	500
02	مجموعة من المصاحف ترسل مع الطلبة لبلدانهم	500

الأثر البارز في تخفيف الأعباء على الحكومات، تمويلا و إنفاقا، وما يتجه إليه الغرب من عمل تطوعي يهدف المؤسسات العلمية وصرف الأموال عليها لدليل واضح على اهتمام الشعوب بمثل هذا العمل، لذلك من الضروري اليوم الدعوة إلى توسيع نطاق الوقف وتفعيله حتى يلعب دوره في تنمية المجتمع، ومن تلك السبل:

- 1- تشجيع وقف الكتب، وتزويد المساجد بمكتبات وقيمة.
- 2- تشجيع وقف الوقت، نظرا لوجود نسبة كبيرة من الأساتذة والمعلمين أخذوا التقاعد النسبي أو الكلي يقترح فتح المساجد والأقسام القرآنية لدروس الدعم التي أنقذت كاهل الآباء ويكون فتح باب خير للمتطوع.
- 3- التعاون مع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف و وزارة التعليم العالي اعتماد الكراسي العلمية في المساجد لما لها من أثر في تعليم الناس.
- 4- إنشاء معاهد متخصصة قائمة على الوقف، كمعاهد القراءات وغيرها من العلوم الأخرى.
- 5- نشر ثقافة الوقف عن طريق وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية.

6- الدعوة إلى وقف النقود لاستغلالها في المجال العلم إمّا بتقديمها كمنح للطلبة أو مكافآت للأساتذة.

الهوامش:

أولاً: القرآن الكريم + أحاديث النبي (صلّى الله عليه وسلم)

ثانياً: القواميس والكتب

1 - أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، لبنان، ط1، ج 6، 1999م

2 - ابراهيم حسن العسل، التنمية في الفكر الإسلامي، مفاهيم - عطاءات، المؤسسة الجامعية للنشر، بيروت، ط1، 2006م

3- ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ، (د.ط)، ج5، (د.ت)،
4 - حربي محمد عريقات، مقدمة في التنمية والتخطيط الاقتصادي، دار الكرمل للنشر والتوزيع، الأردن، ط2، 1997م

5 - مرتضى الزبيدي، تاج العروس، دار صادر، بيروت، (د، ط)، ج3 ، (د، ت)
6 - عبد الباسط محمد حسن، التنمية الاجتماعية، معهد البحوث و الدراسات العربية، المطبعة العالمية، القاهرة، (د.ط)، 1970

7 - عبد الرحيم تمام أبو كريشة، دراسات في التنمية الاجتماعية، المكتب الاجتماعي الحديث، مصر، (د.ط)، 2003م

8 - محمد عباس إبراهيم، التنمية والعشوائيات الحضرية - اتجاهات نظرية وبحوث تطبيقية- دار المعرفة، الإسكندرية، 2003م

9 - محمد أحمد الدوري، التخلف الاقتصادي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د.ط)، 1983م.

10 - هناء حافظ بدوي، التنمية الاجتماعية- رؤية واقعية من منظور الخدمة الاجتماعية-، دار المعرفة، مصر ، (د.ط)، 2000م

ثالثاً: مقالات

1 - موقع الأمم المتحدة، الأهداف الإنمائية للألفية وما بعد 2015م

- 2 - من المشاريع المقدمة للوقف على الجامعات ، مشروع الوقف على مؤسسة الوقف للدراسات العليا الذي قدمه الدكتور سامي الصلاحات استشاري الدراسات والعلاقات المؤسسية بدبي، والبحث منشور في المغرب مجلة الجامعة 2004م،
- 3 - صالح بوبشيش، دور الجامعة في تفعيل نظام الوقف، الملتقى الوطني الذي نظمته الكلية الإسلامية والاجتماعية بباتنة والموسم "استغلال الأملاك الوقفية في باتنة واستثمارها: المشكلات ، الآليات والحلول" يومي 6 / 7 / أفريل / 2015م
- 4 - فارس مسدور، تمويل واستثمار الأوقاف بين النظرية والتطبيق، رسالة دكتوراه غير منشورة، مرجع سابق، ص: 165
- 5 - أحمد أنور الشلتوني، التدابير الشرعية لإعادة الوقف العلمي إلى دوره الفعال في النهضة العلمية للامة، بحث مقدم لمؤتمر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية، كلية الشريعة جامعة الشارقة، 10-5-2011م
- 6- محي الدين حمداني، حدود التنمية المستدامة في الاستجابة لتحديات الحاضر والمستقبل - دراسة حالة الجزائر - رسالة دكتوراه غير منشورة، إشراف رابح زبيري، عام 2008-2009م جامعة الجزائر
- 7- عبد الرحمن معاشي، الاجتهاد المقاصدي في نوازل الوقف -الوقف العلمي نموذجا -مقال من الانترنت

- www.univ-emir.dz/.../abderahman-maahi3